II. تحليل سوات SWOT لواقع الثقافة العلمية فى مصر: مقاربة أولية

* أوجه القوة
* أوجه الضعف
* الفرص المتاحة
* المخاطر التى تستدعى المواجه

obeikandl.com

obeikandl.com

II. تحليل سوات SWOT لواقع الثقافة العلمية فى مصر: مقاربة أولية

من الأساليب المنهجية المعروفة لتحليل واقع الأنشطة المختلفة فى المجتمع ومؤسساته، أسلوب سوات SWOT الذى يحدد أوجه القوة والضعف، ويتعرف على الفرص والمخاطر، كخطوة لازمة للتخطيط الاستراتيجى Strategie planming. وإذ أقدم هذا التحليل المقترح لواقع الثقافة العلمية فى مصر، أؤكد أنه مقاربة أولية، مطروحة كما أؤكد دائمًا للنقد أو النقض، وللإضافة والتعديل. وعادة ما توضع عناصر هذا التحليل فى مستطيل مكون من أربعة مستطيلات متقابلة: أوجه القوة تقابل أوجه الضعف، والفرص المتاحة تقابل المخاطر المحتملة. وفى شرحى المختصر لهذه العناصر، اعترف بوجود الكثير من القضايا الخلافية المطروحة للمناقشة. كما اعترف بأن المنطلق الرئيسى هو الإصرار على الخروج من الواقع غير المرضى، والعمل على بناء مستقبل أفضل. فلا خيار أمامنا إلا هذا الخيار.

تعبر حروف SWOT عن مكونات التحليل:

Ⓢ trength أوجه القوة

Ⓦ eakness أوجه الضعف

Ⓞ pportunities الفرص

Ⓣ hreats المخاطر

ويتم ترتيبها فى مستطيل مركب من أربعة مستطيلات كما يلى:

S	**W**
O	**T**

obeikandl.com

ويمكن تلخيص عناصر هذه المقاربة التحليلية الأولية كما يلى:

أوجـه الضعـف W	أوجـه القـوة S
• تهميش إعلامى للثقافة العلمية • ضعف الكم والكيف معًا • خلط معيب بين الدين والعلم • انتشار الخرافة والعلم الكاذب	• احترام فطرى/ إيمانى للعلم والعلماء • قاعدة علمية راغبة فى إثراء ثقافة المجتمع، تحتاج التنظيم والتوظيف • قبول مجتمعى للتطور التكنولوجى
المخاطر T	**الفرص O**
• غياب الرؤية الاستراتيجية بشكل عام • الوضع الديكورى للتعامل مع العلم وثقافة • عدم الاهتمام بتقديم نجوم العلم كقدوة فى المجتمع • «اللجننة» البيروقراطية للمجال!!!	• وجود القنوات المتخصصة • إقبال الشباب على نوادى العلوم • اهتمام المركز القومى للترجمة بالعلوم • توجه مكتبة الإسكندرية إلى بث المعارف العلمية وجذب الشباب إليها.

obeikandl.com

ومع التأكيد على أن القائمة المذكورة تعد قائمة غير حصرية، إلا أنه من المفيد تقديم شرح مختصر لعناصرها، يساعد فى الدعوة التى تحملها هذه الكراسة للحوار حولها.

أوجه القوة:

- **الاحترام الفطرى/ الإيمانى للعلم والعلماء:**

لعل هذا العنصر يعد من أكثر العناصر المثيرة للخلاف بالنسة لبعض الأصدقاء، لكنه عنصر حاكم يستحق أن تبنى عليه، لا أن نكذبه أو نهدمه. نعم، نحن نمتلك احترامًا فطريا إيمانيا للعلم والعلماء. ويخطىء من يظن أن انتشار الخرافة والشعوذة ينتقص من ذلك. وسنتعرض لها فيما بعد. إن البسطاء يربطون بين العلم والتعليم، ويجاهدون فى سبيل تعليم أبنائهم لتحصيل «نور العلم» رغم ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية. ويتخذ ذلك أشكالاً سلبية، لتدهور الواقع التعليمى، فينفقون أموالاً طائلة على الدروس الخصوصية. كما يربط البسطاء بين العلماء بمعنى المتخصصين فى العلوم الدينية وبين العلماء فى العلوم الطبيعية والاجتماعية. ولم ننتبه كثيرًا إلى

أننا نترجم كلمة science بكلمة علم، التى تعنى فى اللغة العربية المعرفة بشكل عام. لقد صار ذلك خطأ شائعًا لا يمكن تصحيحه، وإن كنا نلجأ إلى السياق لفهمه. وفى هذا الأمر ميزة وعيب. فهو يخدم فى الاتجاه الحديث لوحدة المعرفة من ناحية، ويؤدى إلى الخلط فى كثير من الأحيان من ناحية أخرى. ولكن إذا كنا نحترم العلم، ونتبع رسالة عظيمة تحثنا على طلبة، لماذا تنتشر الخرافة؟ إنها مسئوليتنا لأننا تركنا الساحة لأمراء الجهالة العلمية كما أسميهم، الذين يستغلون حب البسطاء للعلم فى نشر الخرافة باسم العلم، والتكسب من وراء ذلك. صدقونى أننا سنسأل عن ذلك يوم الحساب، ولا يفيدنا أن نتهرب من المسئولية باتهام أهلنا بالعداء للعلم. إننا بذلك نفقد البوصلة، ونهدم أساسا رائعًا يمكن أن نبنى عليه المستقبل الأفضل.

- **وجود قاعدة علمية راغبة فى إثراء ثقافة المجتمع، تحتاج التنظيم والتوظيف:**

لا أوافق المصريين «الخواجات» الذين يؤكدون لنا غياب

القاعدة العلمية، وإن كنت أتفق معهم فى أن إهمال تنمية الجماعة العلمية يؤدى إلى تآكلها وتخلفها. إننا لا نطلب خدمات هذه الجماعة العلمية بالقدر الكافى، رغم أن هذا الطلب هو الأمر الوحيد اللازم لتنميتها وتنمية مجتمعاتنا بجهودها. هكذا يجب أن نتعلم من خبرات المجتمعات التى سبقتنا، دون أن نعيد اكتشاف العجلة كما يقال. ولقد لمست عن قرب استعداد بعض أبناء هذه الجماعة العلمية لتقديم «ثقافة العلم» للمجتمع لو تم تمكينهم من ذلك، لكنهم لا يستطيعون الولوج إلى الدائرة الضيقة القادرة على الوصول إلى المنابر الإعلامية. إن ذلك يمثل هدْرًا للإمكانيات البشرية فى هذا المجال. ولا شك أن الكشف عن قدرات أمثال هؤلاء سيكون من بين المهام المستقبلية لإثراء واقع الثقافة العلمية فى المجالات المختلفة.

- **القبول المجتمعى للتطور التكنولوجى:**

لعل هذا العنصر من أكثر العناصر أهمية وتشوهًا. إننا

نسارع بذكر الأمثلة السلبية للتوظيف السلبى للكمبيوتر والتليفون المحمول والإنترنت. وننسى أن التوظيف السليم يمكن أن يخدم الثقافة العلمية المستقبلية إلى أقصى الحدود. كما ننسى أمثلة أخرى ذات دلالة إيجابية رائعة، مثل قبول المزارع المصرى للميكنة الزراعية، والاستفادة من الثقافة العلمية الشعبية الناجحة بالنسبة لتنظيم الأسرة ومكافحة البلهارسيا وأمراض الصيف. هذه الأمثلة ساهم الفن فى نجاحها، وأعدها ثقافة علمية حقيقية استطاعت الانتشار والإفادة. إن المصريين، بجانب إقبالهم على المحمول والكمبيوتر، يقبلون على التحاليل الطبية للضرورة الصحية بشكل متزايد، ويلجأون إلى تكنولوجيات التكاثر لحل مشاكلهم الأسرية، ويمكن للقارئ أن يضيف إلى هذه القائمة العديد من الأمثلة. لذلك أؤكد أن القبول المجتمعى للتطور التكنولوجي من العناصر ذات الأهمية المؤكدة فى التوصل إلى ثقافة علمية أفضل.

أوجه الضعف:

- **التهميش الإعلامى للثقافة العلمية:**

لقد ذكرنا أن الثقافة العلمية تقوم على ثلاثية العلم والتعليم والإعلام. وكنقد ذاتى بعيون مصرية أؤكد أن عنصر الإعلام يعد من أكثر العناصر ضعفا وتهافتا، وبشكل لا يمكن قبوله أو تبريره. وعندما أتكلم عن التهميش الإعلامى للثقافة العلمية، يحضرنى بشكل أساسى التليفزيون. فرغم أهمية الأوعية الإعلامية الأخرى كالصحافة والكتب المبسطة والإذاعة، إلا أن «التليفزيون هو الحل» بالنسبة للنشر الواسع للثقافة العلمية فى السياق المصرى. لقد كانت هنالك بعض الجهود ضعيفة الإعداد والإخراج، تتعرض بسهولة للحذف والإلغاء واستمر الوضع بالنسبة للقنوات المتخصصة ضعيفة المشاهدة. هذا الأمر يحتاج إلى «اختراق» حقيقى لو أردنا تصحيح المسيرة. وإذا ما انتقلنا إلى الصحافة نرى أن المادة العلمية يغلب عليها الثقافة الطبية، التى تصير فى كثير من الأحيان إعلانات عن إنجازات حقيقية أو خلاف ذلك،

ودون منهج واضح بشكل عام. ولا يخضع نشر الكتب العلمية المبسطة، على قلتها، للمراجعة والتدقيق وضبط الجودة. وهذا يقودنا إلى العنصر الثانى من عناصر الضعف.

- **ضعف الكم والكيف معًا:**

تقتضى الصراحة أن تتساءل عن واقع ثقافة علمية يتضافر فيها ضعف الكم والكيف. كم قليل غير محكم بصورة تقارب اللاعلمية فى كثير من الأحيان. رفض للعلم ونظرياته الكبرى باسم الثقافة العلمية. ادعاء للحصول على درجات علمية، بما فى ذلك الدكتوراه والأستاذية، لأسباب تجارية. سطحية ودروشة وتوثيق زائف لمراجع لا وجود لها. أقسم أن كل ذلك يحدث ويصل إلى المنابر الإعلامية والنشر دون واعز من ضمير، حتى وإن صاحبه غطاء دينى للأسف. مرة أخرى، يقودنا ذلك إلى ثالث عناصر الضعف.

- **خلط معيب بين الدين والعلم:**

هذا العنصر يتميز بحساسية خاصة، فنحن شعب

متدين، وأؤكد أن ديننا يقدم أكبر دعوة للعلم عرفتها البشرية. لكن الخلط المعيب الذى نلحظه فى ساحتنا الثقافية يضر بالدين والعلم معا. إنه خلط فى المنهج. الدين يقوم على اليقين، والعلم يقوم بالشك. وعندما نحول كل قضية علمية إلى قضية دينية أو فقهية فهذا خلط معيب. كما أن التسابق فى البحث عن النظريات والحقائق العلمية المتغيرة والمتطورة بطبيعتها فى النصوص الدينية يعد أمرًا معيبا وخطيرًا، وينتقص من قداسة النص الدينى. قد ينطلق ذلك من نية حسنة، أو من أهداف تجارية، لكنه مرفوض فى كلا الحالين. ولا يعنى ذلك الفصل بين العلم والدين. فأخلاقيات العلم والتكنولوجيا لابد وأن ترجع إلى منظومة القيم التى يعلمها لنا الدين. إننى أدعى أن هذا الاتجاه يعد أمرًا مستوردًا، لم تعرفه الحضارة العربية الإسلامية. ظهر فى الغرب ووظفه بعضنا لصالحه. إن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه هذا الأمر بالنسبة لنظرية التطور بالذات، ورفض البعض تدريسها، أو مطالبتهم بتدريس بعض أشكال العلم الكاذب

الذى يخلط العلم والدين على قدم المساواة معها، تحت شعار حرية التفكير. لكن هذا الأمر لا يضر أمريكا لأن السياق العام mainstream يعد سياقا علميا. أما هنا فهو أكثر ضررًا لأننا مازلنا نسعى إلى زيادة علمية مجتمعاتنا. دعونا نحذر استيراد هذه البضاعة الضارة، ويكفى مواجهة ما لدينا من سلبيات.

- **انتشار الخرافة والعلم الكاذب:**

فى حديثنا عن احترام المجتمع المصرى الفطرى والإيمانى للعلم والعلماء، ذكرنا أن الكثير من أشكال الخرافة، ولا أقول كلها، يتم تمريره باسم العلم. وهو بالقطع علم كاذب. فخزعبلات التنجيم والأبراج وقراءة الكف تقدم باسم العلم، وهى علم كاذب. وتمتد أشكال العلم الكاذب إلى الممارسات الضارة والخاطئة للعلاج بالأعشاب بما تحمله من ملوثات خطيرة، وغير ذلك من أشكال العلاج غير المقننة. إنها قضية اقتصادية اجتماعية، مع التغالى فى تكلفة الطب

الحقيقى وهشاشة الغطاء التأمينى وسوء خدماته. إننى أركز على هذه النوعية من العلم الكاذب لانتشارها الواسع، لكننا يجب أن نواجه العلم الكاذب فى كل أشكاله، حتى وإن تخفى وراء الدين بشكل لا يرضى الله. وقد وصل بعضه إلى البحوث العلمية التى تقدم إلى الترقية، والتى تدعى أنها تدرس علاقة سرعة الأمر الإلهى بسرعة الضوء، وغير ذلك من الأمور المحزنة.

الفرص المتاحة:

- **وجود القنوات المتخصصة:**

تقدم قنوات التعليم والبحث العلمى المتخصصة مساحة كبيرة تتسع لتقديم برامج الثقافة العلمية بأشكالها المختلفة. لكنها تعانى من نقص الجاذبية وقلة الإقبال، وضعف المادة المقدمة إعدادًا وإخراجًا بشكل عام. وأرجو أن يستشعر القائمون عليها بأهمية توظيفها الإيجابى فى تقديم ثقافة علمية جيدة. ويمكن هنا الاستفادة من العناصر الجديدة والشابة فى

الجماعة العلمية لتقديم الأفكار المبتكرة، ودعمها بالإعداد والإخراج الجيدين، والإعلام المناسب عنها، ومع الاستمرار والتراكم سيكون لدينا «كتلة حرجة» من الكوادر القادرة على تقديم الثقافة العلمية للمجتمع.

- **إقبال الشباب على نوادى العلوم:**

لقد تطورت نوادى العلوم نسبيًا فى الآونة الأخيرة، وخرجت من إسار تعليم الأطفال والطلائع والشباب بعض التجارب الأولية عن الدوائر الكهربية واللحام وما إلى ذلك، إلى الكمبيوتر والبرمجيات، والاشتراك فى المسابقات العالمية. إن جاذبية نوادى العلوم بالنسبة لهؤلاء تعد فرصة لنشر الثقافة العلمية، خصوصًا إذا تمت بناء على خريطة وخطة ناضجتين. وإذا كنا نطمح فى وجود «كتلة حرجة» لمن يقدمون الثقافة العلمية، فإن نوادى العلوم فى مؤسساتنا التعليمية والشبابية وقصور الثقافة والنوادى الرياضية والساحات الشعبية كفيل بتكوين «كتلة حرجة» من طلاب الثقافة العلمية. حينئذ قد

تختفى الشكوى من اتجاه تلاميذ المدارس الثانوية إلى الشعبة الأدبية وهجر شعبتى العلوم والرياضيات.

- **اهتمام المركز القومى للترجمة بالعلوم:**

فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين، قبل عصر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية، كنا نطلب الكتاب المؤلف والمترجم بشدة، وشارك مشروع «الألف كتاب» الأول فى تكويننا الثقافى العام، بما فى ذلك ما يتعلق بثقافة العلم. وفى الآونة الأخيرة، قام المجلس الأعلى للثقافة بإصدار ترجمات للألف كتاب الثانية، عن عدد كبير من اللغات. وقد تضمن هذا الجهد الهام العديد من الكتب العلمية أيضًا. وللإحساس الصادق باستمرار أهمية الكتاب والترجمة فى عصر السماوات المفتوحة، ظهرت مكتبة الأسرة وأنشئ المركز القومى للترجمة. وبجانب وجود العديد من الإصدارات العلمية فى مكتبة الأسرة، أود أن أركز هنا من موقع المشارك على اهتمام المركز بإصدار ترجمات لأمهات الكتب

وللإصدارات الحديثة فى مجال العلوم. والأهم من ذلك حرص المركز على أن يتم العمل بناء على خريطة معرفية ناضجة، بحيث تشمل الأعمال المترجمة ما يتعلق بتاريخ وفلسفة وأخلاقيات العلم، بجانب تبسيط المعارف والنظريات العلمية والتطبيقات التكنولوجية الحديثة. بالإضافة إلى سياسات واقتصاديات العلم، دون نسيان المجال الهام الخاص بالخيال العلمى. إننى أعد هذا الاهتمام من الفرص المتاحة لتقديم بانوراما كاملة للثقافة العلمية، نضيف الكثير إلى المكتبة العربية.

- **توجه مكتبة الإسكندرية إلى بث المعارف العلمية وجذب الشباب إليها:**

رغم مشاركتى فى العديد من أنشطة المكتبة منذ إحيائها، إلا أننى سعدت بقراءة هذا الخبر فى موقع هام من مواقع الإنترنت (Sci Dev). لقد تضمن إحياء المكتبة إنشاء قبة سماوية تبهر الشباب، وتدفعهم إلى حب العلم والمعرفة. كما

يقوم المسئولون عن العلم فيها بتنظيم العديد من الأنشطة التى يقبل عليها الشباب. واليوم تزمع المكتبة أن تكون مرصدًا لبث العلم، أرجو أن تكون فى خطته نشر أعمال فى كافة أرجاء الوطن.

المخاطر التى تستدعى المواجهة:

- **غياب الرؤية الاستراتيجية:**

هذا الأمر لا يتعلق بالثقافة العلمية وحدها. إنه مطلوب لكل شئون حياتنا، فمصر تستحق منا أن نشكل رؤية استراتيجية واضحة وعلمية وموضوعية لما نريده لها. إن الصديق الكبير السيد يس يلح فى هذا الأمر كثيرًا، **ولا** نملك إلا أن نؤيده. ودون هذه الرؤية الاستراتيجية يصعب أن نحدد خريطة الطريق فى أى أمر من الأمور. عن طريق هذه الرؤية تدرك التحديات ونرصد الإمكانيات ونقوم بتنمية الكوادر القادرة على تحقيق الأهداف... إلخ.

• **الوضع الديكورى للتعامل مع العلم:**

لقد تعاملنا طويلاً مع العلم كبضاعة مستوردة أساسًا. أما العلم عندنا فهو من مستلزمات الديكور، وفى هذا الوضع تصبح الثقافة العلمية ديكور الديكور. وفى ذلك خطر كبير. فمع ضعف تمويل العلم، وعدم كفاءة إدارته، وقلة إنتاجيته، يمتد التهميش بالضرورة إلى ثقافته. إننا نأمل أن ينجح المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا فى تغيير هذا الأمر، على أن يقوم بتشجيع الفرق البحثية بكل أجيالها، ويضع الآليات المناسبة لتسويق إنجازاتها والإعلام الخاص بها. وسيسهم هذا الأمر الأخير فى إعطاء الثقافة العلمية ملمحًا وطنيًا محببًا. ويزيد من الطلب على الجماعة العلمية، الذى ذكرنا فى موضع سابق أنه السبيل الوحيد لتنميتها وتنميتنا بجهودها.

• **عدم الاهتمام بنجوم العلم كقدوة مجتمعية:**

كل الشعوب تحب نجوم الفن والرياضة، لكن الشعوب المتقدمة علميا تحب أيضًا نجوم العلم، وتضعهم فى مكانتهم

اللائقة. حتى أن بعض الجامعات تختار من بين هؤلاء النجوم من يشغل كرسى «الفهم المجتمعى للعلم». إن نجوم العلم عندنا مهمشون وموسميون، يتم استدعاؤها للتعليق على حدث يشغل الدنيا، كالاستنساخ مثلاً، ثم يتم نسيانهم لحين إشعار آخر. وفى حالات نادرة، يستطيع البعض اجتياز هذا السياج ويفرض نفسه، مثل الراحل العزيز أحمد مستجير، الذى وصل إلى الجميع. والآن يمكن أن نذكر الدكتور محمد غنيم، مؤسس مركز الكلى بجامعة المنصورة. والدكتور محمد عبدالفتاح القصاص والدكتور مصطفى طلبة. أتمنى أن ندعم هذا الاتجاه، وتقدم للشباب بشكل منتظم العديد من النماذج القدوة. فالعائد من ذلك كبير، بأكثر مما يتصور من يهملونه أو يهمشونه أو يمارسونه بشكل موسمى قليل الأثر.

- **«اللجننة» البيروقراطية للمجال!!!**

كلمة لجننة هنا تعود إلى اللجان، وهى فى علم النبات تعنى الترسيبات التى تؤدى إلى التكلس!!! فبين الحين والآخر

تقوم هذه الجهة أو تلك بتشكيل لجنة للثقافة العلمية. وهذا أمر طيب فى حد ذاته. لكن ضعف إمكانيات هذه اللجان وبعض أعضائها وبيروقراطية إدارتها، وغياب الرؤية بالنسبة لعملها وأهدافها يؤدى إلى فقدانها لزخمها وجمهورها، وتقليل العائد منها. إننى أعد ذلك نقدًا ذاتيًا، لأننى شاركت فى بعضها. وأدين نفسى قبل أن أدين غيرى. وبعد تجربة ليست قصيرة، أؤكد أن اللجان ليست هى الحل. يجب أن نبدأ بوضوح الأهداف والتكليفات، ورصد الإمكانيات، والمتابعة والمحاسبة لقياس الإنتاجية. إن اللجان يمكن أن تكون من الأدوات التنفيذية الجزئية للحل، ومن الخطر الإحساس براحة الضمير بمجرد تشكيل لجنة، بصرف النظر عن كفاءة هذا التشكيل، واعتبار أن الأمر انتهى عند هذا الحد.

وبعد، فهذه هى مقاربتى الأولية لتحليل واقع الثقافة العلمية فى مصر. وهى مقاربة أكرر أنها معروضة للحوار. وقد دعوت الأصدقاء فى المجلس الأعلى للثقافة للقيام بهذا

التحليل عندما اعتذرت عن عضوية لجنة الثقافة العلمية بالمجلس. وحرصت أن تكون الدعوة بالنسبة لكل لجان المجلس دون الاقتصار على اللجنة المذكورة. وأخيرًا دعوت الأصدقاء فى مكتبة الإسكندرية للقيام بذلك، وسأتابع معهم هذه الدعوة. والآن اسمحوا لى أن ننتقل إلى الحديث عن الأهداف الواقعية للثقافة العلمية.

obeikandl.com